قراءة في عنوان وغلاف رواية
سيرة المنتهى،للروائي واسيني الأعرج

شيخ عبد الرزاق - إشراف أ.د رشيد كوراد

كلية الآداب و اللغات الشرقية .
جامعة الجزائر 2

الملخص :

تعدّ العتبات النصية أو المتعاليات بابا مهما في الدرسات النقدية خاصة السيميائية إذ تمكن الدارس من سبر أغوار المتن وفكّ شفراته من خلال كشف شبكة العلاقات التناصية التي تحكمه ويأتي في مقدمة هذه العتبات العنوان باعتباره العتبة الأولى التي يتوقف عندها القارئ والدارس على حد سواء إلى جانب الغلاف لأنه نص مواز يترسّخ في ذهن المتلقي ويعتبر أيقونة دالة على الكتاب ككل ،وكلما كانا (العنوان والغلاف) أكثر إغراء كانا عاملا نجاح الكتاب وهو ما أردنا أن نبينه من خلال الرواية السيرية "سيرة المنتهى ...عشتها كما اشتهتني" للروائي الجزائري واسيني الأعرج.

الكلمات المفتاحية : قراءة ، العنوان ، الغلاف ، سيرة المنتهى.

Résumé :

Les seuils textuels ou le para-texte peuvent être considérés comme l'une des plus importantes approches dans les études critiques, notamment celles relatives à la sémiotique étant donné que le chercheur peut y pénétrer en investissant les très sombres profondeurs, afin de démanteler, de décrypter et de dévoiler le réseau des relations intertextuels gérées et régies par ce para-texte. Nous voyons nettement s'illustrer aux abords de ces seuils, le titre, parce qu'il est la première marche qui interpelle le lecteur et le chercheur au même pied d'égalité, sans oublier la couverture, qui se considère parallèlement comme un texte. Ce dernier se marque par un ancrage dans l'esprit de celui qui le reçoit, et c'est ainsi qu'elle se considère en tant qu'indicatrice sur l'œuvre. Toutefois, il faut dire que les deux (le titre et la couverture), plus ils sont attrayants, plus ils constituent un facteur de réussite à l'œuvre ; et c'est justement ce que nous tenterons à démontrer à travers l'œuvre : "

Mots-Clés : - lecture - titre - la couverture - biographie de l'extrême

اهتمت الدراسات النقدية (خاصة السيميائية) بدراسة النصوص الموازية التي تؤطر النص كالعنوان ، والغلاف والإهداء والرسومات التوضيحية، وافتتاحيات الفصول والعناوين الفرعية...وغير ذلك من النصوص التي أطلق عليها أيضا العتبات أو المتعاليات النصية وهذا نظرا لما تقدمه من دلالات للقارئ لتسهل عليه فهم النص النص(المتن) واستخراج معانيه المخفية،وهي أساسية لولوج عالم النص وفتح مغالقه وفك مبهمه، واستكناه أعماقه وسبر أغواره وهي أيضا خطاب أساسي ومساعد سخّر لفك شفرات النص لذلك ينبغي أن نعي حدوده وتطبيقاته ومرجعياته، وفيما يلي نحاول قراءة لعنوان وغلاف رواية "سيرة المنتهى" للروائي الجزائري واسيني الأعرج وهي رواية سيرية فيها الكثير من الأحداث المرتبطة بحياة الكاتب،و تبيين مدى علاقة العنوان والغلاف بالمتن الروائي.

1 – العنوان:

يعدّ العنوان من أبرز القرائن الدالة على بنية النص الكلية ، باعتباره بنية خارجية تشير إلى المدلول الداخلي للنص أو تكشف عن جوهره ، وهو بذلك مفتاح النص وبابه، وقد أولاه السيمائيون عناية خاصة باعتباره "مصطلحا إجرائيا ناجحا في مقاربة النص الأدبي " [1] ، و معطى دلاليا يتسلح به الناقد للولوج إلى عمق النص قصد استنطاق مفاهيمه وتأويلها. كما أنه العلامة البارزة التي يقوم بدور المرجع والدليل الذي يقود القارئ إلى النص لكشف المحتوى الإشاري أو التأويلي للمتن.

ويعرفه ليوهوك (leohohek) بقوله: " العنوان مجموعة العلامات اللسانية (كلمة مفردة ، جمل...) التي يمكن أن تدرج على رأس كل نص لتحديده، وتدل على محتواه العام ، وتغري الجمهور المقصود بمحتواه "[2] فالعنوان عند " ليوهوك" يحظى باهتمام بالغ ، نظرا لكونه أبرز ما في المتن ، بدءا من مكان الصدارة الذي يحتله و شكله وحجمه البارزين في الصفحة الخارجية للكتاب، وباعتباره رسالة لغوية تامة العناصر تحدد النص وتؤطره و بطاقة تعريفية للنص تمنحه هويته وجنسه الإبداعي ، ويكشف مضمونه ولو ضمنيا ، فيكون بذلك وسيلة جذب وإغواء للقارئ ،كما أنه نظام دلالي يتم تحليله انطلاقا من بنيته السطحية والعميقة على حد سواء مثله مثل النص تماما . من حيث أنه حمولة مكثفة من الإشارات والشفرات التي إن اكتشفها القارئ توصل إلى كشف العلاقات التناصية الناظمة للنص كله.

فنجد الروائي يحاول قدر المستطاع إلى "أن يجعل العنوان مدخلا لفهم النص ، ولن يكتشف ذلك إلا من دقق النظر في قراءة الرواية"[3] والعنوان يشير إلى مقصدية الكاتب من خلال التسمية التي عرف الكتاب بها ، وهو كذلك سمة الكتاب وعلامته التي يعرف بها ونميزه عن غيره من الكتب لتدل عليه ،سواء كانت هذه السمة بارزة وواضحة أو ضمنية ومخاتلة. وبذلك يعتبر العنوان " بنية وهمية تولد معظم دلالات النص ، فإذا كان النص هو المولود، فإن العنوان هو الولد الفعلي لتشابكات النص وأبعاده الفكرية والأيديولوجية وهكذا يكون عنوان نص شعري أو رواية ما "[4] .وهو ذو طبيعة مرجعية لأنه يحيل إلى النص كما أن النص يحيل إليه وقد حدد "جيرار جينيت" وظائف العنوان في ثلاث هي :

1- الوظيفة التعيينية التسموية

2- الوظيفة الإغرائية أو التحريضية والتي سميت بالوظيفة التداولية

3- الوظيفة الأيديولوجية

وهذه الوظائف قد لا تكون ذات ترتيب متكامل دائما فيما عدا الوظيفة الأولى وهي التعيينية التي تعين جنس العمل وتسميه فهي دائما في المرتبة الأولى[5]

ولكي يكتب العنوان لابد من توفر عدة شروط :

أ- ارتباط العنوان بمضمون الرواية ، أو أحد مكوناتها كالشخصية أو الأداء أو الغرض أو النمط.

ب- جاذبية العنوان وعدم التقليد ومراعاة أذواق أكبر قطاع من القراء.

ج- صياغة العنوان في أقل عدد من كلمات ليسهل على القارئ ترديده عند تذكر الرواية

وللعنوان " أشكال كثيرة منها : العنونة التراثية والكلاسيكية التي تشمل العنونة التاريخية والرومانسية و الواقعية وهناك أخيرا العنونة الحداثية التي تضم تحتها ستة أنواع هي : المجازية والرمزية والشاعرية و العجائبية و الأسطورية والتاريخية التراثية."[6]

تأتي أهمية دراسة العنوان في النصوص السير ذاتية انطلاقا من الأهمية الخاصة له في السرد (السير ذاتي) حيث يحدد عقد القراءة (الميثاق) فمن خلال العنوان الرئيس أو العنوان

الفرعي الذي يضعه المؤلف على الغلاف يتحدد عقد القراءة ، ويضبط مسارها كونه يعطي معلومات مسبقة عن نوايا الكاتب ، وإن كان لا يمكن الجزم بها إلا بعد الانتهاء من قراءة العمل بأكمله . فالعناوين في " رواية السيرة الذاتية هي عناوين تعبر عن فكرة داخل النص ، أو تعبر عن مضمون النص ،أولا تعبر عن شيء داخل النص كما أن العنوان الفرعي " رواية " لا يعمل بالضرورة كدال على النوع الأدبي."[7]

انتقى المؤلف لعمله عنوانا لافتا من جهة ،وموحيا ليشعل في المتلقي الفضول ،ولأن الرواية السيرية تتموقع في المنطقة الوسطى بين الواقع والتخييل فيسعى إلى اختيار عنوان لا يميل إلى المفارقة والإغراء "إلا بقدر استعانته بعناصر قليلة ومن ثم فيحاول أن يشير – مجرد إشارة – إلى أن النص يختلف عن نوع (الرواية)" [8] وهو ما يذهب إليه الروائي "واسيني الأعرج" في نص (سيرة المنتهى...عشتها كما اشتهتني) إذ يحمل الغلاف المؤشر الإجناسي (رواية سيرية) أي أنه يدل على القص السيري وهو من العناوين العجائبية الأسطورية. واهتم " واسيني " بصياغة العنوان الذي يتشكل من بنيتين تركيبيتين ؛ الأولى (سيرة المنتهى) والثانية (عشتها كما اشتهتني) . فالشطر الأول من العنوان (سيرة المنتهى) مخاتل، ينهض بوظيفة إغرائية إذ يحيل إلى طبيعة العمل الفني الذي يسمه هذا العنوان و يؤكد علاقة الاسم بالمسمى إلا أن الإضافة –هنا– هي التي تحقق الانزياح وتفتح مدارج التأويل ، فتلتبس (سيرة) في بنائها اللغوي بـ (سدرة) ، فلم تعد سيرة المنتهي عملا سيريا سجّله كاتبه في خواتيم رحلته الحياتية ، يجمع فيه ما تشذّر من تفاصيل حياة امتدت ما ينيف عن الستين سنة ينتزع به ماضيه من مخالب النسيان ، بل تلتبس التسمية بـ (سدرة المنتهى) فنغدو أمام دلالة إضافية تحمل دلالات الرحلة المعراجية إلى السماء ، حيث منتهى الرحلة عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى، (سدرة المنتهى) بحسب المرجعيات الإسلامية، عنوان رحلة كسرت نمط حياة ، وحققت سلوة الروح للنبي – عليه الصلاة والسلام– بعد عناء ، و(سيرة المنتهى) رحلة تكسر نمط السرد وتغادر المألوف في العمل الروائي ، عند سدرة المنتهى كانت نهاية الرحلة النبوية ، ومن سدرة المنتهى في كتاب ابن عربي تبدأ (سيرة المنتهى) ، ومن معطيات عالميهما تتشكل عوالم العمل الفني الذي نكاشفه بالقراءة والتأويل ،من خيوط و إيحاءات

وتكنيكات رحلة المعراج تنبثق رحلة واسيني الأعرج لتبني عوالم غوايتها الفنية وترسم معالم سيرتها الروائية .

(سيرة المنتهى) عنوان سحري له جمالية خاصة تجذب المتلقي وتدهشه في هذه الرواية السيرية يذيله الكاتب بالبنية التركيبية الثانية (عشتها ..كما اشتهتني) ، وتعتبر هذه البنية كعنوان فرعي للبنية التركيبية الأولى أو العنوان الأول (سيرة المنتهى) جاء شارحا ومفسرا له ، وهو عنوان رديف ينهض بتفصيل ، و يقترف التجاوز من خلال التمظهرات المادية (التشكيل البصري في الرسم واللون) وكذلك التجاوز اللغوي ، فعلى مستوى التشكيل البصري الطباعي يفصل بين الجملة الأولى (عشتها) والجملة الثانية (كما اشتهتني) بثلاث نقط ، أما على المستوى اللغوي فالجملة الثانية تنطوي على مفارقة تزيد من جمالية وشعرية العنوان وقد سبقتها الثلاث نقط لتهيئ القارئ لتلقي الصدمة (صدمة المفارقة) إذ تكسر أفق التوقع الذي ينتظره (عشتها ... كما اشتهيتها) ، بيد أن الثلاث نقط تمثل نفسا ممتدا يحيل على استمتاع المتكلم / المخاطب بالحياة التي يحيل عليها الضمير (ها) ، لكن الجملة الإيضاحية تحدث الصدمة الفنية : عشتها كما اشتهتني وهو تسليم و إقرار بأنه لم يعيش الحياة كما اشتهى ، بل كما اشتهت هي وهو في الحقيقة كسر للنرجسية التي تصاحب دائما كتاب السيرة الذاتية غير أن واسيني كتبها كما اشتهى (هو).

فالعنوان (سيرة المنتهى) يدخل ضمن العناصر الشكلية للميثاق المنجز لأنه" عقد شعري بين الكاتب والكتابة من جهة ، وعقد قرائي بينه وبين جمهوره وقرائه من جهة ، وعقد تجاري إشهاري بينه وبين الناشر من جهة أخرى"[9] إذا فالعنوان كما قلنا سابقا هو رسالة لها حمولة مكثفة من الإشارات والشفرات التي إن اكتشفها القارئ وجدها تطغى على النص كله وهذا ما نجده في

(سيرة المنتهى) من خلال تفكيك القارئ للعنوان من منطلق عقد القراءة (الميثاق) حسب المخطط التالي :

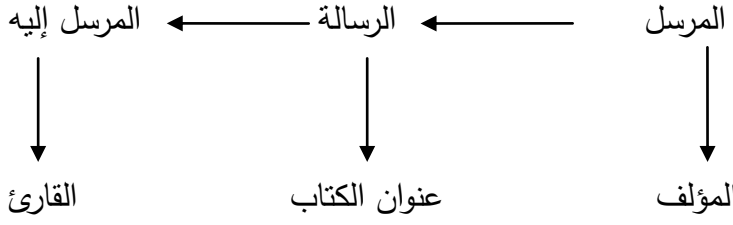

(واسيني الأعرج) (سيرة المنتهى) عقد القراءة (الميثاق):ذاتية الملفوظ

يقترن العنوان بوصفه عقدا قرائيا باسم مؤلفه، سواء من الناحية الشكلية أو من ناحية مضمون النص "فالعنوان ضرورة أدبية ، ولكن ضرورته تمتد في السيرة الذاتية لتشمل عملية ربط خاص بين الكتاب والكاتب نظرا لهيمنة وجود الذات الكاتبة في السيرة"[10]

في حين يعقد العنوان بين النص والمؤلف ميثاقا مرجعيا ذا أبعاد واقعية تتصل بهذه الذات الكاتبة ،وانطلاقا من تحليلنا للمستوى التركيبي للعنوان نصل إلى أن الكاتب بصياغته العنوان بهذا الشكل يؤدي إلى إغواء القارئ وجذبه لمعرفة سيرة المنتهى التي عاشها واسيني كما اشتهت هي وقد عمد واسيني إلى إفراد الفصل الأخير (مسلك التماهي) عنوانا فرعيا سماه (تلك التي اشتهتني ... عشتها) فيقول : " تلك التي نبتت في ضلعي الأوحد الذي بقي مستقيما بعد رحلة الحياة الشاقة و اللذيذة كحليب اللوز المر.نبتت وكبرت في ظل هذا الضلع ، وتعودت على ملوحته ، ومائه المتحرك دوما ، وسكينة بحاره السرية وعنفها الأبدي .

وجه واحد ووحيد ..

وجهها الصافي الذي لن يغيب عني أبدا ...

تلك التي اشتهتني ... تلك التي عشتها "[11] ،فالعنوان طريق لسبر أغوار المتن وتكوين انطباع إجمالي عما رسمه الناصّ وكشف كنهه ولو ضمنيا ، كما أن المتن يفسر العنوان ويترجمه بما تتيحه البنية العلائقية والتناصية التي تربطها.

تقول "رزان إبراهيم": " أما أن تحمل هذه السيرة عنوان (عشتها كما اشتهتني) بل وتعود لتلح على هذا المعنى في النهايات (هي اشتهتني وأنا عشتها) فإن قراءة دقيقة لسطورها بكل ما فيها من صور وتمثلات ستمكن القارئ من تقدير سر التفاف مبدعها حول هذا المعنى ،وهو من يحضر في أكثر من موضع فيها طفلا ممتزجا مع الطبيعة ومحاورا لها بالإطلاق تاركا لخياله منذ الطفولة وعلى امتداد حياته فرصة السباحة في فضاء اللامحدود ،معمقا دلالات هذا العنوان الإشكالي أكثر. وهي فرصة تفتح الشهية لسؤال اعتراف وجرأة لم يكونا غائبين في سيرة خلت من فعل التزييف، ولم يجد صاحبها صعوبة في إبراز ضعفه البشري، ليبقى الحكم النهائي في هذا المسار منوطا بقارئ

له الحق كله في إعطاء رأيه في هذا الجانب"[12] ،فالروائي واسيني الأعرج وفق في اختيار عنوان يجرّ القارئ جرا إلى الانغماس في هذه الرواية السيرية وتأخذ بتلابيه إلى فيوضات الجمال السردي والمتعة الأدبية ليحقق العنوان بذلك وظيفته الإغرائية وبالتالي التجارية.

2 – صورة الغلاف :

أدى تطور الدراسات النقدية الحديثة إلى استقراء النصوص الموازية فلكل شيء دلالته وكل مكتوب مقروء وكذلك الصورة والرسومات والرموز وغيرها . فالصورة في حد ذاتها تحمل دلالتين : دلالة حقيقة و أخرى مجازية في الآن ذاته " فهي الشكل البصري المعين بمقدار المتخيل الذهني الذي تثيره العبارات اللغوية فأصبحت الصورة الشعرية تقف على مستوى الغلاف وهكذا تحتم الأمر أن نميز بين الأنواع المختلفة وعلاقتها بالواقع الخارجي غير اللغوي لنتمكن من مقاربة الفنون البصرية الجديدة ونتأمل بعض ملامحها التقنية ووظائفها الجمالية"[13] ،ففي الغلاف لاشيء محايد أو عفوي ، أو مهمل أو ثانوي أو قليل الأهمية مهما كان جنسه أو نوعه وطبيعته فإن الغلاف يضم المحتوى الكتابي للكتاب بين جناحيه ويعرف به بصريا فإن هذا يمثل عتبة مهمة لابد من إلقاء النظرة عليها ومقاربتها وإخضاعها للقراءة والبحث والتأويل.

والغلاف هو الوجه الأول الذي ينظر إليه ، وهو آخر ما يبقى في ذاكرة القارئ وهو بمثابة وجه المرء كل شيء بارز فيه ، ومن ثم وجب الاحتفاء به وإعطائه المكانة اللائقة به فاختيار الشكل واللون أو الصورة بصفة عامة يشد انتباه القارئ ويوقعه في غواية الاهتمام ويدخله في دوامة التحليل. فالغلاف الأمامي الذي يعد "بمثابة العتبة الأمامية للكتاب حيث تقوم هذه الأخيرة بعملية افتتاح الفضاء الورقي".[14]

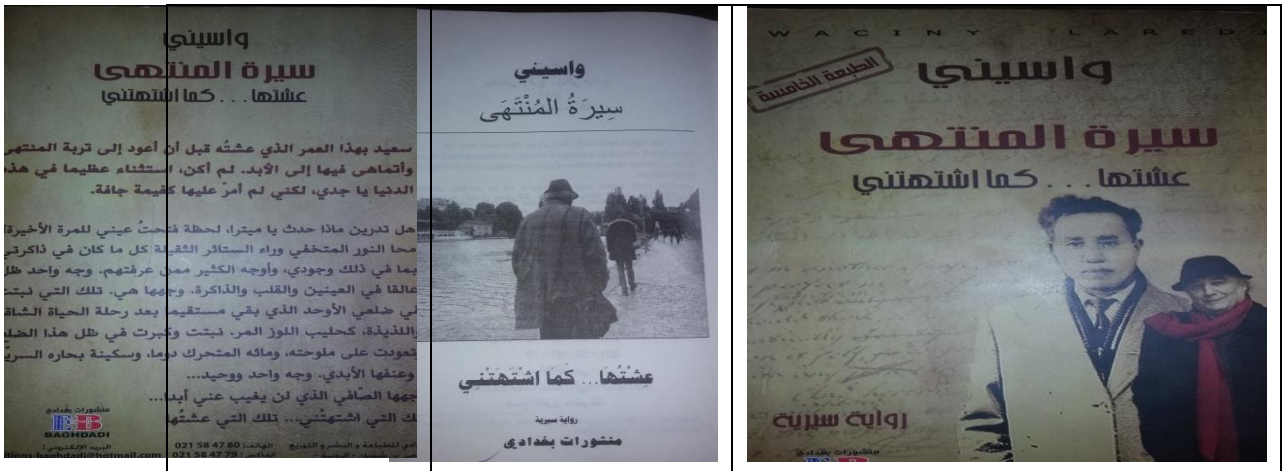

"سيرة المنتهى" ،الطبعة الخامسة 2015 ، الصادرة عن دار البغدادي للطبع والنشر والتوزيع ، الجزائر العاصمة

حمل الغلاف الأمامي صورة فوتوغرافية حقيقية بتقنية التصوير الفوتوغرافي السينمائي ، عامرة بالدلالات لأن الصورة تمثيل أيقوني وهي " لغة ثانية تروم اقتصاد الأدلة وانفتاحها (الأقصى) ، حتى تتخلص مما يسميه "ر.بارت" بفاشية اللغة الأولى "[15] ،وهي صورة للكاتب (واسيني) الرجل البالغ ملونة حديثة دالة على زمن الكتابة وصورة والده (بابا أحمد) بالأبيض والأسود دالة على بعد المسافة الزمنية بينهما وقد جاء اختيار الصورة أو تصميمها موفقا إلى حد بعيد سواء كان هذا الاختيار من قبل دار النشر أو المصمم الموكل باختيارها أو بتدخل من الكاتب في إعدادها ، فهي عبارة عن تركيب يجمع بين واسيني (الابن) وبابا أحمد (الوالد) الشهيد حيث أنهما لم يجتمعا هكذا في الواقع لكن داخل نص (سيرة المنتهى) يفترض واسيني هذا اللقاء مع والده في أرض الغياب لأن غياب الأب واستشهاده ترك لوعة ونقصان في نفسية الكاتب فعمل جاهدا على تدارك هذا النقص عبر بحث مضن عن كل ما يشير إلى أنه امتداد لهذا الأب ،معمقا في ذلك أبوة يحن إليها ابن بالكاد يعرف أباه ،فنجد داخل النص بحث عن كلمة ابني ليحس بطعم الأبوة المفقودة " كان يناديني باسمي كأنه يحادث صديقا له ، اشتهيت فقط أن أسمع ابني حبيبي... أتذكر الكلمة مغيمة ولا أدري إن نطقها والدي يوما"[16] ،لكن في آخر الفصل تحقق مراده ويستمع إليه والده مرددا " نعم يا ابني ، نعم حبيبي"[17] بما يشبع إحساسا بالأبوة وامتداد مشتهيين

فالحوار الذي دار بين واسيني ووالده غائب في الحياة حاضر ما بعدها من خلال ما أسعفته الذاكرة من قصص تحكى وتنقل عن طريق الأم والجدة .

كماجاء الغلاف حاملا في الجزء العلوي لكتابة باللغة العربية التي أتقنها واسيني وسعى جاهدا لتعلمها وكان المحرض الأول في تعلمها جدته (حنا فاطنة) حين دفعت به لتعلم القرآن فكان للقاء مع كتاب(ألف ليلة وليلة) الذي سحره وجذبه إلى تعلم وحب اللغة العربية وأصبح واسيني الطفل الروائي الكبير الذي نعرفه جميعا . وإلى الأسفل تظهر اللغة اللاتينية التي تعلمها والده الشهيد عندما ذهب إلى العمل في فرنسا ، وقد جعلت هذه الكتابة (العربية + اللاتينية) في الخلفية الصورة دلالة على أن الشهيد لم يوص زوجته بشيء إلا تعليم الأبناء ولو لم تكن العربية متاحة لأنه كان يرى أن التعليم يحرر الإنسان " فقد وعدته في ليلته الأخيرة في السجن أن أدرس أبناءه كما طلب مني ذلك، نفذت طلبه الأول"[18] وقد وضعت هاته الخلفية بتقنية(الفوتوشوب)، والجميل هنا أنه مثلما جاء العنوان مركبا من بنيتين تركيبيتين فقد جاءت الصورة كذلك مركبة من صورتين: الكاتب ووالده ،وهذا ليس من محض الصدفة ولكنه عمل مقصود .

تبدو الصورة الداخلية الفوتوغرافية للكاتب "واسيني" بالأبيض والأسود وهو يحمل حقيبته على كتفه ويسير على ضفة نهر(السين) بفرنسا التي عاش فيها حياة المنفى متنقلا بينها و بين أمستردام بهولندا و كتب فيها معظم رواياته فالمنفى رغم قساوته لبعده عن الأهل والوطن الأم إلا أنه يمثل "لواسيني" الملجأ والمهرب والبديل من واقع الخوف والموت الذي كان يهدده في الجزائر، زد على ذلك فإن المدن الأوربية تمثل له عالم السحر ومدن الفن والعشق والجمال وهي العالم الحلم المنشود أمام واقع مرير متأزم عايشه وطنه الجزائر يقول :" المدن الاوربية هكذا كلما عدنا لها بعد زمن اكتشفنا أن بها شيئا لا نعرفه ومدننا كلما هجرناها وعدنا لها اكتشفنا أن جزء آخر فيها قد مات."[19]

وهكذا تعيش الصورة مع النص ، وتتعالق معه لتقول حياتها ما دام النص حي لا يموت فالصورة باقية بقاءه، وهذا ما يجعلنا نقول أن الصورة قرينة للنص أو عقد قرائي (ميثاق) شكلي من شأنها أن توجه القارئ وتربطه بالنص والذات الكاتبة المهيمنة في السيرة.

أما الغلاف الخلفي والذي هو " العتبة الخلفية للكتاب، وظيفتها عكس وظيفة الغلاف الأمامي وهي إغلاقه الفضاء الورقي"[20]، فجاء اسم المؤلف (واسيني) إلى الأعلى بخط كبير بلون بني

غامق و أسفله التركيب الثاني للعنوان (عشتها ...كما اشتهتني)" بنفس اللون الذي يدل على الاستقرار والراحة والاطمئنان فواسيني مراده مشاركة القارئ وتقاسم هذه الحياة معه ،وهي حياة بسيطة وعادية لا تعطي أي درس للقارئ ، فهو في سيرته يبحث عن الإنسان لا على شخص آخر ويرى أن تجربته مع الحياة اكتملت فأراد أن يقترب من قرائه ويطلعهم على واسيني الإنسان ويجيبهم عن الكثير من التساؤلات التي ظلت ترافقهم طيلة ما يقارب عشرين سنة من الكتابة الإبداعية فكان هذا البوح بمثابة الراحة النفسية يقول " وأنا أتدحرج نحو الأعلى، كانت خفتي تزيد أكثر بعد أن تجردت من كل شيء، أصبحت خفيفا مثل نسمة فجر على حافة بحر قريتي الهاربة، وعاشقا مثل قبلة مسروقة، ومجنونا مثل عاصفة القلب من شدة الغيرة، بل إن الجاذبية بما في ذلك جاذبية الخوف، انتهت وأصبحت ملكية كون لا خوف فيه مجرد ذرة نور محملة بذاكرة ستين سنة وبعض الوقت ستون سنه يا ميترا، وشيء من غبار الزمن"[21]

وعمد الكاتب إلى وضع اللون البني المائل إلى الصفرة ليشبه أو يحاكي لون الورق القديم الذي تكتب عليه الرسائل وقد اصفرّ لونه بفعل التقادم. و كذلك يدل هذا اللون على باطن الأرض أي لون التربة الموجودة بباطن الأرض والذي يعدّ " أصل الألوان التي تظهر في الوجود، وكل لون يظهر في الوجود لا بد له يوما أن يعود كما كان عليه من تراب فالتراب من خلال هذه الحقيقة فهو مقابل للون الأبيض والذي هو أصل الألوان قال تعالى « منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى » (طه 55)، فالتراب لما عرفنا أنه أصل كل المرائي الظاهرة في الوجود وإن هذه المرائي و إن تبدو جميلة، فإن جمالها ضرب من الوهم لأنه يعود إلى حقيقة التراب، هذا يعني أن علينا أن نبحث عن الأشياء التي جمالها لا يتغير، فلم يبق أما منا إلا اللجوء إلى العالم الروحاني الذي لا يقبل الفساد ولا التغير لأنه من الحقائق الثابتة الأزلية"[22]

يتضح لنا هنا أن اللون الترابي هو اللون الذي يفضح حقائق الأشياء التي تبدو جميلة في العالم الحسي، وكأن هذا اللون يدعونا إلى الاطلاع على الحقائق الكامنة فيه، التي أظهرها بصور مختلفة في الوجود الحسي، فواسيني أراد أن يظهر لنا بأن هذا العالم أو الوجود الحسي (الأرضي) مزيف فنقلنا إلى عالم روحاني (سمائي) فيه الطهر والنقاء وصفاء السريرة. وبين اسم المؤلف والتركيب الثاني (عشتها ... كما اشتهتني) نجد التركيب الأول للعنوان (سيرة المنتهى) بلون بني فاتح أو بني محمر مثل لون الكسوف وكأن الكاتب يريد أن يتخلص من هذه السيرة التي كانت

كالحمل الثقيل وعاشها بكل حلوها ومرها مع أنها في بعض الأحيان كانت قاسية عليه جدا حيث سرقت منه طفولته ويمكن أن نرسم مسار حياة واسيني من خلال المخطط التالي :

واسيني (الطفل)

↓

سيرة المنتهى

(التجربة الحياتية)

↓

عشتها...كما اشتهتني

(اكتمال التجربة)

يلي اسم المؤلف والعنوان إلى الأسفل جزء من الإهداء الذي كتبه واسيني إلى جده (الروخو) والذي من خلاله يبين مدى سعادته بهذا العمر الذي عاشه قبل أن يموت وإن لم يكن إنسانا عظيما ،لكنه لم يمر هكذا كغيمة جافة بل ترك بصمة في هذه الحياة. وبعده جزء من الإهداء الذي كتبه إلى "ميترا" ويليه رمز دار النشر (بغدادي للنشر والطباعة والتوزيع) والبريد الالكتروني وعلى حافة الكتاب مصممة الغلاف الدكتورة (سهام شراد) والتي كانت ذكية في تصميمها فنجدها في الغلاف الخلفي عكست تماما الإهداء حيث قدمت إهداء الجد على إهداء "ميترا" لتبين لنا مرة أخرى مركزية الأنثى في حياة واسيني الأعرج وكتاباته فكانت الأنثى هي البداية والنهاية لتضفي شاعرية على الغلاف .

من خلال قراءتنا للعنوان والغلاف للرواية السيرية "سيرة المنتهى" للروائي واسيني الأعرج نجد تلك العلاقة التناصية المتداخلة بين العنوان والغلاف والمتن،مع تفوق العنوان الذي جاء قويا وأكثر دلالة على المتن، وذلك لعجائبيته وسحره ودلالته على الرحلة البرزخية التي قام بها الكاتب في الحلم التي خرقت أفق توقع القارئ.

أما الغلاف فقد قدم لنا جزء من حياته المتعلق بحياة والده في جزئية هامة طرح من خلالها مجموعة من الأسئلة التي أرقته في حياته وكذا في مسيرته الإبداعية حيث أن ثيمة الأب

ذكرها في العديد من رواياته ورسالته إلى حبيبته "مينا" ،وهكذا فقد حاول الكاتب أن يختزل صفحات المتن والأحداث من خلال عنوان وغلاف الرواية وقد وفق في اختيارهما ببراعة نظرا لتجربته الروائية وثقافته الواسعة.

الهوامش :

[1] – جميل حمداوي،السيميوطيقيا والعنونة، مجلة عالم الفكر،الكويت، مارس ع (3)،1996 م ، ص 90.

[2] – رحيم عبد القادر،وظائف العنوان في شعر مصطفى الغمازي،مجلة المخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري،جامعة محمد خيضر،بسكرة،ص 24

[3] – عزوز علي إسماعيل،عتبات النص في الرواية العربية،دراسة سيميولوجية سردية،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،2012 م ،ص 74

[4] – عبد الرزاق بلال:مدخل إلى عتبات النص،دراسة في مقدمات النقد العربي القديم،افريقيا الشرق،ط 2000 ،بيروت،ص 22

[5] – بلعابد عبد الحق:عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص،(تق) د.سعيد يقطين ،الدار العربية للعلوم وناشرون،ط1 ،2008 م،ص 74

[6] – المرجع نفسه، ص 53

[7] – ممدوح فراج النابي ،رواية السيرة الذاتية في مصر، دراسة في التأصيل و التشكيل ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ط1 ، 2011م ، ،ص 129

[8] – المرجع نفسه، ص 130

9 – بلعابد عبد الحق:عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص ،مرجع سابق، ،ص 71

[10] – أمل التميمي:السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر،المركز الثقافي العربي،بيروت،ط1 ،2005 ،ص 190

[11] – واسيني الأعرج:سيرة المنتهى عشتها... كما اشتهتني، دار البغدادي للطبع والنشر والتوزيع، الجزائر،ط5،2015 م،ص 490

[12] – رزان إبراهيم ، التخييل في عالم واسيني الروائي اسئلة المنجز الجمالي و الموضوعاتي و حوارية مع واسيني الأعرج سيرة المنتهى ، موزاييك للترجمات و النشر و التوزيع ، عمان ، الأردن ، ط1 2015 م ، ص 326

[13] – صلاح فضل:قراءة الصورة أو صورة القراءة،دار الشروق،القاهرة،ط1 ،1997 م،ص 5

[14] – محمد الصفراني،التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث، جامعة طيبة،المدينة المنورة،ط 1 ،2008 م ، ص 134

[15] – أحمد فروخ،جمالية النص الروائي،دار الأمان ،الرباط، ط 1 ، 1999 م ، ص 12

[16] – واسيني الأعرج،سيرة المنتهى عشتها كما اشتهتني، مصدر سابق ، ص 148

[17] – المصدر نفسه ، ص 153

[18] – المصدر نفسه، ص 136

[19] – واسيني الأعرج ،شرفات بحر الشمال، دار الأدب ، بيروت ، ط1 ، 2002 ، ص 183

[19] – المصدر نفسه ، ص 64

[20] – محمد الصفراني،التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث، جامعة طيبة،المدينة المنورة،ط 1 ،2008 م ، ص 137

[21] – واسيني الأعرج،سيرة المنتهى عشتها كما اشتهتني، مصدر سابق ، ص 491

[22] – ضاري مظهر صالح، دلالة اللون في القرآن والفكر الصوفي،دار الزمان والطباعة والنشر والتوزيع ،دمشق،سوريا، ط 1 ،2012 م ،ص 138